الفصل الثالث

(رحيلنا)

أتى بعد التعبئة بشهر تقريبا يوم سرور آخر الا وهو يوم ٢٠ مايو ذلك اليوم الذى لا ننساه أبداً الى آخر حياتنا

فبينما كنا ننتظر ذلك اليوم اذ الاخبار كانت تتوارد تنبئ بانتصار قواتنا المتوالى فى شيولنشنج وحولها وكان سرورنا كالجنون الزائد لهذه الانباء الا اننا فى الوقت نفسه كنا لا نمالك همنا الجنونى وهو انه اذا كانت هذه القوات تنجح بسرعة عظيمة مثل هذه هناك فيمكن ان الحرب تنتهى قبل حضورنا الى الميدان وكنا نتساءل دائماً : فرقة كذا ستسافر فى يوم كذا القريب فمتى يجىء دورنا ؟ فبينما نحن قاعدون هنا كسالى اذا بفرقة أخرى تحوز لنفسها الانتصارات هناك فلا علاج لذلك الا اذا اسرعنا للميدان . ولذا استمنا امر الرحيل بالترحاب وكان لا يوجد أحد الا وكان مستعدا للتقدم فى الحال

ولقد اصطففنا فى أرض الطابور فى اليوم المذكور الذى كانت تتطاول الاعناق له فى الساعة ٦ صباحا

أما السرور فكان لاحد له اذ أن الوقت أتى أخيرا لتأدية أعظم خدمة فى حياتنا فالرجل الشجاع ليس بدون دموع ولكنها لا تتساقط فى وقت الفراق وهذا هو الاسلوب المتبع ـ طبعا نحن كنا مستعدين ومرحبين بالأردإ كالأحسن وبسبب هذا العزم وهذا الغرض لا يمكننا ان لا نفكر فى الفراق

الابدى فراق الوالد لولده والزوج لزوجته والاخ لاخته الخ فهذه أسباب تجلب الدموع حتى من أعين الشيطان (اونى) فكيف تكون حالتنا ونحن بدون دموع منظورة مستورة بشجاعة فى الاحشاء تحت تبسم سرور

وقد أخرجت فى الليلة السابقة لرحيلنا جميع فتوغرافيات اصدقائى الاولين لانظر اليها ونظفت ادراج ترابيزتى ورتبت مافيها بنظام حتى تكون سهلة على عائلتى وبعدها توجهت لانام آخر مرة على حصيرة بهدو وقناعة

وفى الساعة ٣ صباحا قصف المدفع ثلاثا من اعلى تل القصر القديم فقفزت خارج فراشى واغتسلت بماء طاهر ولبست أحسن بدلة عندى وانحنيت الى الشرق حيث يسكن جلالة الميكادو العظيم وقرأت بوقار أمره باشهار الحرب وقلت : ان تابعه الخاضع سيتوجه الآن الى الميدان وعندما انتهيت من صلاتى وكنت افكر أنها كانت الاخيرة امام هيكل اجدادى شعرت بقشعريرة فى جميع جسدى وكأن اسلافي كانوا يعطونى أمراً خطيرا قائلين انت لاتملك نفسك فلاجل جلالته عليك أن تتوجه وتخلص الامة من الكرب وتكون دائما مستعداً لان تتفتت عظامك ويتقطع لحمك اربا وان لا تشين شرف آبائك بعمل جبن ابدا

وبعدها اجتمعت عائلتى وأقاربى حولى لاعطائى كأس الوداع من الساكى (عرقى يابانى يصنع من الارز) وكانوا يهنئونى بهذا السفر الميمون وقد قال لى والدى لاتفكر ابدا بخصوص أشغالك العائلية وعليك أن تعمل بكل مافى فكرتك الطيبة جميع الذى ربيتك عليه من قديم فوالدك مستعد لموتك وبذا أضم زهرة شرف الى اسم عائلتنا للخدمة الممتازة للوطن فأجبته ارجوكم

أن لاتفكروا فى أمرى وأن هذه أعظم فرصة انتهزها لأبرهن عن نفسى وعليكم أن تهتموا أنتم بصحتكم الخصوصية . وهذه لحادثات الاحساسية بين الاب والابن حصلت ايضا مثلها فى عائلات متعددة

ولما حان وقت الخروج لبست سيفى وكان قد وضع فى هيكل عائلتى وشربت كأس الوداع من الماء الذى ملأته والدتى العزيزة وتركت بعدها منزلى بجأش ثابت واقدام غريب مستعداً ان لا اخطو عتبته مرة اخرى

ومن حوادث ذلك الحين ان احد الضباط كان خارجا من منزله ليدان القتال بكل انشراح فى الليلة السابقة لرحيله اذ ماتت زوجته محبوبة تاركة طفلها خلفها ومع ذلك لم يكن عنده وقت لأن يحضر وضعها فى آخر مكان راحتها فبكل شجاعة رغما عن تكتم دموعه توجه مبكرا فى الصباح مثلى فالاحزان الخصوصية يلزم طرحها جانبا بالنسبة لاعزاز الوطن ولكن الطبيعة البشرية هكذا كانت . فأحلام هذا الضابط التعيس المزعجة كانت تحوم دائما حول عمود قبر زوجته وفوق وسادة طفله الصارخ بعد وفاة والدته العزيزة

وفى الساعة ٦ صباحا كان الآلاى مصطفا وبعدها رحب بالعلم الذى استحضر بين ترنمات الموسيقى بقطعة آشيليكى الوقورة الملوكية وفى اثناء ذلك كنا ننظر الى وجه الميرالاى آوكى هذا الذى سيقود الى الرمال الوحشية والاهوية البربرية هذه الجنود البواسل التى كانت تشعر بأنها أيدى وأرجل هذا القائد وبعد ما ودعنا جميعا أهلنا ومنازلنا سيكون هو والدنا ووادى منشوريا الواسع منزلنا ولا يمكن التعبير شفهيا فى ذلك الحين عن المسئولية العامة التى تربطنا ببعضنا الا أن الواحد يأمر وما على الآخر الا الطاعة . ولقد نظر الميرالاى

الى الصفوف من طرف لآخر وقرأ بصوت عالى آخر تعليماته قبل مبارحتنا أرض وطننا وبعد انتهائه منها هتفنا جميعا (بانزاى) ثلاثا الى جلالة الميكادو القائد الاعظم بأعلى صوتنا

وهذا كان جمع من محاربين أشداء يتسابقون لاتمام عملهم الحربى امتثالا لاوامر جلالة الملك الاعظم فأينما وجدوا فتحت لهم السموات أبوابها واهتزت الارض تحت أقدامهم

ثم بعدها أصدر الميرالاى أمر : ١ جى أورطه ايلريه (تقدمي)

وهذه كانت أول كلمة امر اصدرها الميرالاى آوكى الى مرءوسيه عند رحيلهم الى المقدمة وكان صوته يثبث عزم تقدمنا الى الامام ويجعلنا نهجم بأمره على أقوى استحكام أو أشد نار العدو الحامية

وكان الشعب يودع الالاي الذى كان يتحرك متعرجا كالثبان بخطوات بطيئة وهو يصرخ بانزاى خارجا من قلبنا بكل اخلاص وكان صوت وقع أقدامنا يقل كلما بعدنا فما كان الطف سمع صوت بنادقنا وسيوفنا التى كانت تمس ملابسنا بخفة فى آذان هذا الشعب المتحمس وابوانها التى كانت ترنم بوداع ابناء الوطن الذين كانوا جميعهم كباراً وصغاراً حاملين الاعلام الوطنية صائحين (بانزاى) بصوت كالرعد وكان كل ذلك مما يزيد عزيمتنا على ان نعمل لان نستحق شكرهم اينما كنا فى ميدان القتال وفى أثناء وجودنا فى هجوم عنيف نشعر كان نداء (بانزاى) هذا لا يزال يصيح خلفنا يحرضنا ويشجعنا أيضا نفس صريخنا الحربى هناك يمكن أن يقال انه صدى هذا الحماس الوطنى فى الصباح فى ميدان القتال بين دوى المدافع وفى الليل البارد فى معسكر الميدان

كان صوت بانزاى الصادر من قلب الامة بأسرها حاضراً دائما معنا أما شخصى الضعيف فقد تشرف بخدمة مهمة وهى حمل علم الالاى وكانت انحناآت جماهير الامة المصطفة على جوانب الطريق ومظاهرتها الحماسية عند مشاهدتها تزيد قواى وكنت أخشى أن لا يمكننى القيام بواجبى وفى اثناء سيرنا شاهدنى المستر كوچيما الذى كان استاذا لى منذ خمس سنوات فى المدرسة العالية فتقدم أمام الجمهور بخطوتين أو ثلاث وعلامة السرور الزائد على وجهه وهمس في أذنى :

اعمل بكل قواك ياساكوراى

وهذه الموعظة القصيرة المقوية من معلمى الشفوق كانت ترن فى اذانى طول مدة الحرب وتحتنى أن أكون أهلا لتلمذته

وكانت جموع أولاد الكنترجاردن سليمى القلب تنشد الاناشيد الحربية التى كانت تحرك أفئدتنا من صميمها والسيدات التى احناهن الكبر كن يفركن السبح بين كفوفهن وهن يرتلن الصلوات قائلات ليحفظكم بوذانا الاعظم اعملوا ما فى وسعكم لنا ياحضرات الجنود فما كان أشد تأثير عواطفهن السليمة على قلوبنا

ثم اننا رأينا بواخرنا النقالة (كاجوشيما مارو) و(ياواتامارو) راسية فى الخليج وبعدها ابتدأت الجنود بالنزول فيها فكنت ترى البحر يموج بالقوارب السامپان ذهابا وايابا والجبال المجاورة تموج بآلاف الجموع من رجال ونساء وأطفال تهتف للجنود بانزاى باعلى صوتهم مما يزيد حماسنا وإقدامنا وختم هذا المنظر الرهيب بوداع المصافحة باليدين امير آلاينا وحاكم (ايهيما كن) وعند

ما تم نزولنا جميعا فى الباخرة هللنا صوتا واحداً بانزاى وداعا الى الشعب وغرسنا بعد ذلك علم الألاى على سطح الباخرة وابتدأت حينئذ البواخر تتحرك ـ الى أين ؟ .. الى الغرب الى الغرب تاركة كميات سوداء من الدخان خلفها وقد اجتمعت فى الحال غيوم فى السماء وابتدأت تهطل الامطار ببطئ ثم بعنف فيا أيها الاخوان المتلهفون وأبناء الوطن المتحمسون هل كنتم تحسبون أننا سنعود جميعاً متوجين بغار النصر حينما كنتم تودعوننا وكانت الآلاف منا مسافرين بالشراح زائد وحماس فائق

الفصل الرابع

السفر

وكانت أفكارنا بين صراخ الشعب لنا (بانزاى) الذى يرن فى آذاننا الآن طائرة نحو الحروب المشتبكة فوق الجبال وفى عرض الانهر وهكذا كنا سائرين بعيدا الى الغرب فالى أين نحن متوجهون ؟ وأين سننزل من السفينة ؟ كل ذلك ما كان يعلمه أحد سوى الميرالاى رئيسنا وقباطين البواخر حاملتنا الذين أعطيت لهم أوامر سرية ومع ذلك فانهم كانوا على غير علم تام اذ انهم كانوا يتلقون أوامر جديدة من وقت لآخر فكنا غير عالمين أكنا متوجهين الى (شنا آن يو) أو الى مصب نهر (يالو) أو الى (ها يشنج) او الى محاصرة بورت ارثور وكلها كانت ظنونا وتصورات فقط ولا تسل عن سرورنا كلما قربنا من العدو وحينئذ يمكننا أن نظهر شجاعتنا وانفاذ أوامر جلالته حول علم الآلاى